مر اليوم الأول دون مشادات ولا انسحابات :

الجـــدل الدولي والعـــربي في قـــمـــة الجـــزائر

شهدت الجلسة الافتتاحية للقمة العربية التي بدأت أعمالها بعد ظهر أمس في الجزائر حضوراً دولياً لافتاً يعد الأول في تاريخ القمم العربية حيث حضرت شخصيات دولية بارزة بينها الأمين العام للامم المتحدة كوفي عنان، ورئيس الوزراء الإسباني خوسيه ثاباتيرو، والمنسق الأعلى لشؤون السياسة الخارجية في الاتحاد الاوروبي خافيير سولانا، ووزير الخارجية الفرنسي ميشال بارنييه، ونائب الرئيس الروسي الكسندر سلطانوف، وممثل منظمة الوحدة الافريقية ألفا عمر كوناري.

ثاباتيرو : نقترح قيام تحالف بين الحضارات

وقد تحدث في الجلسة الافتتاحية ثاباتيرو رئيس الوزراء الإسباني قائلاً : "لانقبل ان يموت مزيد من الفلسطينيين من الحرمان ويجب ان ندعم القيادة الفلسطينية الجديدة في مساعيها لتحقيق السلام"، كما طالب بالتخلي عن العنف لأنه لايؤدي الاّ الى الآلام والتخلف والعمل على ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية لأن الشعب عانى من هذه الاعمال، وقال: "اننا ندعم خارطة الطريق لايجاد حل نهائي لأن هذه المنطقة تشكل بؤرة نزاع وعدم استقرار". ونوه بمبادرة السلام العربية وأكد ان الاشخاص الاكثر شجاعة هم الذين يعملون من أجل السلم.

كما أشار ثاباتيرو الى ان الشعب العراقي يستحق مستقبلا زاهرا، داعيا الى التعاون بين جميع الاطراف في العراق لبناء دولة يشارك فيها الجميع، كما طالب بسحب القوات السورية من لبنان وفقا لاتفاق الطائف، ودعا الى تطبيق قرارات الشرعية الدولية لحل كل النزاعات. وأكد انه لايوجد عائق لتحقيق الديمقراطية في العالم، ودعا الى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحرية وعدم التعصب واعطاء الحرية للمرأة.

ودعا ثاباتيرو الى عدم فرض أى شيء على الدول العربية لاجراء الاصلاحات وتفعيل الشراكة المتوسطية وقال ان برشلونه ستستقبل فى نوفمبر مؤتمراً لتفعيل هذه الشراكة والتعاون، وحيا ذكرى العلامة ابن خلدون ودوره فى مجال معرفة الأشياء والتنوع والاختلاف، داعيا الى جمع كل العناصر لتحقيق مزيد من الترابط بين الماضي والحاضر.

واقترح ثاباثيرو قيام تحالف بين الحضارات .

وعلق بوتفليقة على كلمة رئيس الوزراء الاسباني قائلا: "لقد سعدنا كثيرا بما سمعناه من كلامه عن العلاقات التاريخية واشاراته الى ابن سينا وابن رشد وحديثه عن قضايانا العربية، واكد دعم الدول العربية لمبادرة حوار الحضارات داعيا الى اتفاقيات دولية فى هذا الشان.

كوناري: تفعيل التعاون العربي-الافريقي

وتحدث بعد ذلك مفوض الاتحاد الافريقي الذى استعرض الانجازات التي حققها الاتحاد وخطط عمله المستقبلية لصالح الدول الافريقية، داعيا الى تفعيل التعاون العربي الافريقي وتحقيق مزيد من التنسيق السياسي والاقتصادي وإقامة شراكة. كما دعا الى حل القضية الفلسطينية ودعم السودان على تحقيق الاستقرار وكذلك الصومال.

بارنييه وسولانا: رسالة صداقة

وتحدث بعد ذلك وزير الخارجية الفرنسي الذي نقل رسالة صداقة من الرئيس جاك شيراك، وقال ان القمة العربية أمامها العديد من التحديات منها تحدي الارهاب والعنف وتحدي النمو والحداثة، وعبر عن أمل بلاده في قيام دولة فلسطينية امنة وتنظيم مؤتمر دولي طبقا لما نصت عليه خارطة الطريق، كما أمل في تحقيق السلام في العراق. واشار بارنييه الى ان فرنسا تعمل بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري على كشف الحقيقة بمساهمة كل الدول ومنها الدول العربية، مؤكدا ان فرنسا تهدف لأن يتحكم الشعب اللبناني في مصيره.

ثم قال سولانا في كلمة مختصرة ان الاتحاد والعالم العربي لهما اجندة مشتركة ومستقبل يجمعهما، واكد ان صداقة الاتحاد الاوروبي ودعمه سيتواصلان مع العالم العربي. داعيا الى مواجهة التحديات معا، ومعتبرا ان ذلك ممكن من خلال اعادة الامل في عملية السلام في الشرق الاوسط وقال ان مبادرة بيروت التي اقترحتها السعودية لم تتغير وهي اليوم ملائمة اكثر مما كانت عليه في العام ٢٠٠٢م حين اطلقتها الجامعة العربية. كما دعا الى مساعدة العراق على استعادة مكانته بين الامم والمساهمة في بناء لبنان مستقل، كما دعا الى دعم الاصلاحات التي يرغب بها العالم العربي في اطار عملية برشلونة التي ارست عام ١٩٩٥م اسس الشراكة الاوروبية-المتوسطية.

اوغلو: تطوير العلاقات

وتحدث اكمل احسان الدين اوغلو الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي داعيا المولى عز وجل ان يتغمد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بواسع رحمته، وقال ان المغفور له الشيخ زايد قاد دولة الامارات بحكمة ودراية وساهم في تنمية العديد من الدول الاسلامية. كما دعا المولى عز وجل ان يوفق صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة الذي وصفه بانه خير خلف لخير سلف. وطالب بضرورة تطوير العلاقات بين جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي وتحقيق مزيد من التنسيق والتعاون بين الدول العربية والاسلامية.

رسالة برازيلية

كما تحدث في الجلسة ممثل عن الرئيس البرازيلي وعبر عن تطلع بلاده لانعقاد القمة العربية مع دول امريكا الجنوبية في البرازيل خلال العام الحالي واكد تاييد بلاده التي تسعى الى الحصول على مقعد دائم بمجلس الامن للدول العربية للحصول على مقعد مماثل. ثم

بوتين يؤكد استعداد بلاده للتعاون مع الجامعة العربية

وفي رسالة إلى القمة العربية أكد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين استعداد بلاده للتعاون مع الجامعة العربية في مساعدة التسوية الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط والعراق. وقال الرئيس الروسي في الرسالة التي نشرتها دائرة الإعلام بالكريملين "إن موسكو تتطلع إلى توسيع التعاون المتعدد الأوجه مع جامعة الدول العربية والثنائي مع الدول الأعضاء فيها من اجل ضمان الأمن والسلام و لتحقيق أهداف التنمية".

وأضاف الرئيس الروسي في رسالته «أن بلاده تعمل مع شركائها في اللجنة الدولية الرباعية الراعية لعملية التسوية السلمية في منطقة الشرق الأوسط قصد تنفيذ الاتفاقات الرامية إلى التطبيق الكامل لخطة «خريطة الطريق» بغية إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة التي تتعايش مع إسرائيل في ظل السلام والأمن».

وأكد بوتين من جهة أخرى، «أن التسوية الشاملة للنزاع العربي – الإسرائيلي مستحيلة بدون استئناف مسيرة السلام على المسارين السوري واللبناني وفقا للقرارات الدولية ذات الصلة والتي تشمل ضمنا مبادرة بيروت السلمية التي طرحتها جامعة الدول العربية».

وفيما يتعلق بانسحاب القوات السورية من لبنان، قال الرئيس الروسي «إن الخطوات العملية التي تتخذها القيادة السورية بالتنسيق مع لبنان من أجل تنفيذ اتفاقيات الطائف وقرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٥٥٩ من شأنها أن تساعد على الاستقرار بهذه المنطقة».

وعلى صعيد الوضع في العراق، دعا الرئيس بوتين إلى دعم الخطوات الرامية إلى إعادة بناء أجهزة السلطة الشرعية بهذا البلد من خلال «حوار وطني واسع يستهدف التوصل إلى تحقيق الوفاق والمصالحة» معبرا عن «استعداد روسيا بالتعاون مع الشركاء العرب في تحقيق هذه الغاية».

وقد أشاد الرئيس فلاديمير بوتين من خلال هذه الرسالة بالدور المتعاظم لجامعة الدول العربية التي تأسست في عام الانتصار على النازية مشيراً إلى أنها أصبحت مع ممر السنين تتبوأ مكانة لائقة في نظام العلاقات الدولية الجديد المبني على ميثاق الأمم المتحدة.

مارکو فوللیني : لا يمكن فرض الديمقراطية بالقوة

ومن جانبه قال نائب رئيس المجلس الإيطالي، مأركو فوللیني، أمام القمة العربية أن «الديمقراطية لا يمكن فرضها بالقوة» مشيرا إلى أن العالم يشهد فرصا جديدة تمكن الشعوب من التعبير عن رؤيتها ووجهات نظرها. وأوضح السيد فوللیني في مداخلة له أمام المشاركين في أعمال القمة العربية الـ١٧ ، أن الظرف الراهن موات لنشر بذور الديمقراطية و توفير الدعم والتشجيع لها مؤكدا أن التقدم نحو تحقيق الديمقراطية يجب ألا ينفصل عن الرضى و الاتفاق حول الخيارات المطروحة.

وذكر المسؤول الإيطالي أنه «ما فتئ يرى في الاحترام المتبادل عوضا وبديلا عن صراع الحضارات» مضيفا أن هذا الاحترام يعني «أن نكون قادرين – في عالم أصبحت سماته العولمة – على البحث عن حد أدنى من القواسم المشتركة والوصول إلى فكرة موحدة حول الحقوق والحريات الأساسية رغم الانطلاق من نقاط مختلفة».

من جهة أخرى، أبرز السيد فوللیني أن ظاهرة الإرهاب الأصولي المتفشية ضربت فكرة التعايش بين الحضارات مما يستوجب مواجهتها بحسم و دون أي تنازل كما أنها ضربت قدرة الشعوب على فهم بعضها البعض و التحاور فيما بينها« مؤكدا ان هذه القدرة «هي بالتحديد ما يتعين علينا أن نضمن بقاءه و تماسكه».

ما المنتظر من قمة الجزائر؟

بقلم: د. أحمد يوسف أحمد *

■ تعودت الجزائر أن تستضيف قمما فارقة، تشهد على ذلك قمة ١٩٧٣م التي عقدت عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣م وقمة ١٩٨٨م التي عقدت بعد تفجر الانتفاضة الفلسطينية الأولى . وكان للقمتين دورهما في تدعيم الموقف العربي والحق الفلسطيني في ظروف بالغة الدقة ،لذلك فإن طموح المسئولين الجزائريين إلى أن تكون قمة الجزائر ٢٠٠٥م فاصلة بين زمنين من تاريخ النظام العربي . له ما يبرره خاصة أن رئيسها يتفرد بين القادة العرب بأنه الوحيد الذي قضى معظم حياته العملية وزيرا للخارجية في مرحلة ازدهر فيها دور بلده عربيا وافريقيا ،بل وعالميا ،ولذلك فإن خبرته بالأوضاع العربية والإقليمية والعالمية تمكنه من أن يقود باقتدار سفينة القمة العربية في ٢٠٠٥م.

غير أن المرء يخشى بحق من ألا تكون الظروف الموضوعية المحيطة بانعقاد قمة الجزائر مواتية لذلك الطموح ،لكنها بالتأكيد لن تكون قمة فاصلة ،ذلك أنها تعقد في ظروف بالغة التعقيد ،اشتبك فيها الجدل بين ما هو دولي وما هو عربي ،مع غلبة واضحة لما هو دولي ،وهو ملمح عرفه النظام العربي منذ مدة ،لكن ثمة قوى للممانعة كانت تحول بينه وبين أن يكون السمة السائدة للنظام العربي ،غير أنه بات كذلك منذ وقع الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣م ورضي النظام بالتكيف التام مع العملية السياسية التي دشنتها الولايات المتحدة في العراق ،ثم تفاقمت الأمور بعد ذلك بهجمة أمريكية شاملة على مواقع الممانعة في النظام العربي ،تحاول أن تحسم المعركة لمصلحة ما هو دولي على حساب ما هو عربي .

لذا بدت قمة الجزائر كأنها اختبار معروفة أسئلته وأجوبته سلفا ،هناك توقعات مرئية بلغة أهل الثانوية العامة في مصر وإجابات نموذجية أو بالأحرى نمطية تدرب عليها الطلاب كثيراً . سوف يرسب بعض الطلاب بالتأكيد لكن مجمل النتيجة للعموم معروف . في قمم سابقة كان الرأي العام يبقى مشدودا قبلها ،وتجتهد النخبة في التنبؤ بما ستفعله القمة وما لن تفعله ،وتحاول أن تقدم أفكارا وتوصيات على أمل أن تكون مؤثرة في مخرجاتها النهائية ،وتحبس الأنفاس عموما في انتظار انعقاد القمة : من سيجيء؟ ومن سيغيب من القادة؟ وما هي الأزمات المتوقعة والسبل المتاحة للخروج منها؟ كان الأداء يختلف من قمة لأخرى ،لكن المهم أن القمم العربية بدت آلية حقيقية لمواجهة المخاطر ،تنجح حينا وتخفق حينا ،لكنها تثير الاهتمام وتحبس الأنفاس وتتصرف بوحي من الحرص على المصالح العليا ،أما الآن فالاهتمام يبدو فاترا من الغالبية والآمال موعودة ،وأصحاب الأفكار يضنون بنصائحهم ،لأن ثمة انطباعا عاما بأن المجرى قد تم تحديده بالحقائق الدولية المحيطة بالنظام العربي ،بل والمتغلغلة في أعماقه .

هكذا لا ينتظر أحد تغيرا نوعيا في أي ملف مهم تعرض له القمة ،فالسلام كان ولايزال خيارنا الاستراتيجي الوحيد ،وسقفه يقترب من الأرض شيئا فشيئا عبر العقود .

تبنت قمة فاس ١٩٨٢م مبادرة الأمير فهد ولي العهد السعودي آنذاك التي أسست لتسوية تاريخية بين العرب والإسرائيليين تحميها ضمانات السلام ،وبعد عشرين عاما بالضبط تبنت قمة بيروت ٢٠٠٢م مبادرة الأمير عبدالله ولي العهد السعودي التي تضمنت أركان التسوية التاريخية نفسها ،لكنها جعلت من التطبيع بين جميع الدول العربية وإسرائيل ضمانا للتسوية ،والآن يقال لنا إن الدول العربية يتعين عليها أن تزيل مخاوف إسرائيل ! وأن تظهر من حسن النية ما يجعل التطبيع ،أو بعض مظاهره ،مقدما على وفاء إسرائيل بالتزاماتها.

ومن حسن الحظ أن التوجهات داخل القمة لن تمرر هذا الخفض الجديد لسقف المطالب العربية ،لكننا يجب ألا ننسى أن هذه الأفكار قد شغلت قمة الجزائر عن أن تهتم بتفعيل الموقف العربي من التسوية.

أما الملف العراقي الذي ستتوقف على كيفية حسمه أمور كثيرة تتعلق بمستقبل النظام العربي والوضع في الشرق الأوسط بصفة عامة ،إن لم يكن بعلاقات القوى في قمة النظام العالمي ،فإن الأمور تبدو بالغة الوضوح . فقد ارتضت الدول العربية العملية السياسية التي دشنتها سلطة الاحتلال بإطار لحركتها ،فقبلت وزير الخارجية في الحكومة العراقية المنبثقة عن مجلس الحكم الانتقالي ممثلا لدولة العراق في مجلس جامعة الدول العربية عند انعقاده في سبتمبر ٢٠٠٣م واضعة بهذا قيدا موضوعيا على حركتها إزاء المسألة العراقية انعكست آثاره على كل تصرفاتها اللاحقة ،وسوف يستمر انعكاسها بطبيعة الحال علي موقف قمة الجزائر ،ومن ذلك الترحيب المتوقع بنتائج الانتخابات العراقية ،مع أنها غير ذات صلة بمستقبل الاستقرار في العراق على ضوء ما يواجهه من تداعيات التناقض بين قوى الاحتلال وقوى المقاومة . وقد تطالب القمة بأن تشمل العملية السياسية جميع الأطراف ،فلا الحكومة العراقية المتوقع تشكيلها سوف تقبل حوارا مع المقاومة مثلا ،ولا القوى الرافضة للاحتلال أساسا يمكن أن تقبل المشاركة في عملية سياسية خطط لها الاحتلال ،وسوف تدين القمة الإرهاب في العراق وهو موقف حق ،لكنها لن تتوقف عند التفرقة بينه وبين الحق المشروع في المقاومة.

في هذا السياق كذلك تبدو المسألة اللبنانية . السورية عبئا على القمة ،فقد تفاداها المجلس الوزاري الأخير بالقاهرة ،وترددت أصوات بعدم جدوى بحثها في القمة لأن سحب سوريا لقواتها وأجهزة مخابراتها من لبنان قد تقرر وبدأ تنفيذه ،مع أن المسألة تتجاوز بكثير قضية الوجود العسكري السوري في لبنان ،لأن المطلوب هو تسوية كل من يجرؤ علي رفض الانصياع التام للأوامر الأمريكية بالأرض ،وقد ترحب القمة بالانسحاب السوري من لبنان كونه إجراء عاقلا للتهدئة ،مع أنه من المؤكد أن التهدئة لن تحدث لأن هناك من خارج النظام العربي من يصر على إشعال الفتنة ،مما يستدعي مواجهة مختلفة للمسألة ،لكن ميزان التأثير بين ما هو دولي وما هو عربي لن يسمح بما يتجاوز عبارات التأييد العامة لسوريا ولبنان دون مواجهة فاعلة للسياسة الأمريكية التي تجاوزت كل الحدود .

أما ملف التطوير فيبدو البعض ،وربما الكثيرون ،متأففا منه ،هكذا يشير نموذج السلوك العربي الرسمي في قضايا كثيرة ومنها قضية التطوير : عندما يثار المبدأ يوافق الجميع ،إما لأن القرارات تتخذ دون دراسة ،وإما درءا للحرج . وعندما نأتي إلى تفاصيل والتزامات محددة تبدأ مناقشات التملص وفرض القيود ،ومن ذلك حماس الجميع لتطوير الجامعة في قمة عمان ٢٠٠١م بالذات ،وعندما صدق البعض ذلك فبادر بمقترحات جادة للتطوير وقامت الأمانة العامة بواجبها في تطوير هذه المقترحات ،بدأت رحلة تبه جديدة تذكرنا برحلة التيه الطويلة التي مر بها قرار إنشاء محكمة العدل العربية الذي أصدرته قمة الاسكندرية في ١٩٦٤م أي منذ واحد وأربعين عاما ،ورحلة التيه الأخرى التي مرت بها مشاريع تعديل الميثاق منذ عام ١٩٧٤م أي منذ أكثر من ثلاثين عاما.

في هذا السياق أحالت قمة تونس لعام ٢٠٠٤م ملف التطوير برمته إلى قمة الجزائر ،وانقضت الأشهر العشرة بين القمتين ما بين إعداد دراسات ،وإجراء مناقشات ،وعقد اجتماعات لكي نعرف في النهاية أن اثنين أو ثلاثة من هذه المقترحات فقط هي التي ستعرض على القمة ،وأن واحدا منها فحسب ،وهو المتعلق بالبرلمان العربي ،قد يكون هو الوحيد القادر على مواصلة سباق الوصول إلى القمة ،ولا نريد أن نزيد الأمور إحباطا بأن نذكر بالمصير الذي تؤول إليه عادة هذه القرارات من حيث اللامبالاة في الالتزام بالتنفيذ ،والافتقار إلى موارد التمويل .

يمكننا بطبيعة الحال أن نكون أكثر تفاؤلا فنقول : إن عملية التسوية تتحرك على المسار الفلسطيني ،وإن السلوك العربي الرشيد قد مكننا من أن نتفادى أزمة في المسألة السورية . اللبنانية ،وإن العراق يسير حثيثا إلى مستقبل ديمقراطي حر ،وإن رحلة التطوير تبدأ بخطوة ،لكنه يتعين علينا إذا قررنا تبني مواقف كهذه أن نتحمل المسئولية جميعا أمام الأمة عما سيؤول إليه حالها مادام النظام العربي الرسمي يصر على التعامل مع قضاياه المصيرية في إطار السقف الذي تفرضه الحقائق الدولية على المصالح العربية.

* كاتب وباحث مصري